الفصل العاشر :

التغيير القسري لاتجاهات الفرد وعقائده

- طبيعة عملية غسيل الدماغ Brainwashing .
- أنواع غسيل الدماغ .
- أساليب عملية غسيل الدماغ .
- مراحل عملية غسيل الدماغ .
- أساليب الضغط على الأسرى .
- عمليات التحليل النفسي .
- غسيل الدماغ وأثره في تعديل أو تغيير الاتجاهات العقلية و السمات والعادات الشخصية .
- التصدي لعملية غسيل الدماغ .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل العاشر :

التغيير القسري لاتجاهات الفرد وعقائده

Techniques of Coercive Persuasion and Changing of Attitudes and Beliefs

Abstract

Political indoctrination was carried out on prisoners of war in Korea and by the Chinese on civilians and by the Russians . Ideological reform or ideological remolding or thought reform were wildly applied during the cold war . These methods were also used for the reeducation of people in many countries, they were also applied to criminals in order to force them to give confessions of committing crimes which they have not committed . Through very longed interrogations some people who were subject to these harsh methods, suffered from self betrayed . These techniques implied a lot of physical and psychological punishment, stresses and torture . Dr Vincent who was arrested by the Chinese Communists suffered from these experiences . The prison reform aimed to obtain confession, this took place in three steps known as : unfreezing, changing and refreezing . The victims are put under severe or intense stresses ranging from semi starvation, isolation and deprivation . These techniques could leed to severe psychological and mental disorders .

obeikandi.com

أهداف البحث وموضوعاته :

يستهدف هذا البحث إلقاء بعض الضوء على العمليات التي يتم بها تعديل الاتجاهات العقلية للأفراد أو الجماعات أو تغييرها من النقيض إلى النقيض ، بمعنى محو معتقدات أو آراء أو أفكار أو فلسفة الفرد السابقة وغرس غيرها من قبل السلطة التي تمارس هذه العملية كسلطة الأسر أو سلطات التحقيق وإلى جانب تغيير الاتجاهات يتم أيضًا تغيير ميول الفرد واهتماماته ومذاهبه السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وفقًا لما ترغب فيه السلطة التي تمارس هذه العمليات . و الاصطلاح الشائع عن هذه العملية هو عملية غسيل المخ أو غسيل الدماغ أو تنظيف أو تطهير العقل ، ولكنه يشمل أيضًا ميول الفرد السياسية والاجتماعية . ويغلب استخدام هذا المنهج في عدة مجالات منها :

1) مع أسرى الحروب ونزلاء المعتقلات والجواسيس .
2) مع المتهمين بجرائم وخاصة الجرائم الكبرى والمنظمة والجرائم السياسية والمجرمين فعلاً .
3) يستخدم في المجالات السياسية حين ترغب الدولة في تشكيل عقول أبنائها على هواها كأن تحولهم من الفلسفة الرأسمالية إلى الاشتراكية أو الشيوعية وذلك بقصد خدمة أغراض هذه الدولة كما كانت تفعل الدول التي كانت ترغب في اعتناق الفلسفة الشيوعية .
4) الجماعات السرية حتى تغرس في أتباعها أفكارًا خاصة .

ويلاحظ أن عملية غسيل المخ لها مستويات مختلفة من الكثافة والشدة وممارسة الضغوط وتكرار تعرض الأسري مثلا لنفس المثيرات أو المؤثرات عشرات أو مئات المرات ومنها المستويات البسيطة في شكل الدعاية ، كذلك فإنه سبق أن تم استخدامه فيما يعرف باسم "التربية الأيدولوجية" أو "التربية العقائدية" بالاعتماد على تكرار الإعلانات والنداءات والشعارات والخطب والرسائل ، وإصدار الكتب والمجالات والدوريات واستخدام الإذاعات والتلفاز وكل وسائل الثقافة الجماهيرية بقصد زرع أو غرس القيم التي ترغب في غرسها السلطة الحاكمة لصبغ عقول أبنائها بصبغة واحدة .

ويلاحظ أنه قد يترك آثار ا قوية على شخصية من يتعرض له ، وخاصة إذا كانت فترة السجن أو الأسر طويلة وإذا امتد الحرمان الخارجي . فقد يخرج الأسير من هذه التجربة القاسية وهو يقاسى من الشك والتشكك والريبة في كل من يقابله ، وقد يصاب بالهلاوس

وبعض أعراض الهستريا والقلق واضطرابات النوم . وعلى الجملة قد يصاب بما يعرف باسم "العصاب المؤسسي" أي المرض النفسي الناجم عن الإقامة الطويلة في السجن أو في الأسر أو في مؤسسة الإيداع أو في المستشفيات العقلية حيث يتعود النزيل على حياة الاعتماد المطلق على الغير وعلى الطاعة المطلقة ، و بذلك يفشل في التكيف مع الحياة خارج السجن .

ولكن هذه الآثار السلبية الناجمة عن تجربة التعرض لعمليات غسيل الدماغ لا تحدث لجميع الأسرى ، وإذا حدثت فإن تأثيرها السلبي يتوقف على مدى تمتع صاحبها بالصحة النفسية والعقلية الجيدة وبالثبات الانفعالي ، وعلى مقدار إيمانه بقضاياه ورسوخ أفكاره ومعتقداته ، وفي هذه الحالة قد لا يتأثر من يتعرض لتجربة غسيل الدماغ في السجن أو في الأسر أو على يد سلطات التحقيق والاستجواب . وكلما كان إيمانه بقضاياه وبرسالة مجتمعه وبحق مجتمعه العادل كلما كان هذا الإيمان راسخًا ، فإنه لا يتأثر ولا يتنازل عن عقيدته وتظل راسخة وثابتة في عقله وفي وجدانه ويرفض الرضوخ أو الاستسلام أو إفشاء أسرار وطنه .

وفي هذه العملية يتم تكرار تعرض الأسير لنفس المثيرات والنداءات والمحاضرات التي يتلقاها الأسير من جانب واحد ، حيث لا توجد مواد تعارضها ولا يستطيع معارضتها أو مناقشتها أو رفضها ، حيث يخضع لسلطة القهر والاستبداد والإذلال ، وذلك من جانب واحد ، كما أنه لا يملك القدرة عل الرد أو على محاجاة الخصم أو مصدر هذه المثيرات ، حيث يوضع الأسير في موقف سلبي يستقبل فقط أو يتلقى المؤثرات فقط ولفترات طويلة ومتكررة .

وتختلف هذه العملية عن عملية الإقناع السوية أو عن عمليات التعلم ذلك التعلم الذي يستهدف تغيير أداء الفرد أو سلوكه وذلك عن طريق التكرار والممارسة والمران والحفظ من جانب المتعلم نفسه وذلك بصورة إرادية ولكن هذه العملية تعتمد على التغيير القسري أو الإجباري أو القهري أو الإلزامي وتستهدف حدوث تغييرات راديكالية متطرفة .

وهناك عمليات أخرى مثل التعلم تؤدى إلى تعديل سلوك الفرد ولكنها تختلف عن غسيل الدماغ من ذلك عملية الإيحاء في التنويم المغناطيسي أو عملية التحليل النفسي من خلال مناهج العلاج النفسي وكشف محتويات اللاشعور عند الفرد وكذلك يختلف هذا المنهج عن منهج العلاج السلوكي لأنه يتم طواعية ودون إجبار العميل وإن كان يعتمد على تقديم التعزيزات الإيجابية أي المكافآت كلما أتى الفرد بالسلوك الجيد والمطلوب وعلى

تقديم التعزيزات السلبية أو العقاب كلما أتى بالسلوك غير المرغوب فيه كالكذب أو العدوان أو الإهمال .

وجدير بالتأكيد أنه في الإمكان تحصين الجنود ضد عمليات غسيل الدماغ وحمايتهم من تأثيرها في حالة تعرضهم لها وذلك بزيادة الوعي والإيمان ورفع الروح المعنوية وعن طريق حسن التدريب وعن طريق توفير القادة العظماء والمخلصين لهم وللوطن .

طبيعة عملية غسيل الدماغ وخصائصها كما يشرحها عالم النفس ريبر :

غسيل المخ brainwashing عبارة عن مصطلح استعاري أو مجازي بمعنى أن عملية غسيل المخ لا تتضمن عملية غسيل أو عملية تنظيف واقعية أو عملية بالمعنى الحرفي لعملية "الغسيل" ، وذلك لأن هذه العملية تتضمن إزالة أو محو ما يوجد في ذهن الفرد وفي الغالب ما يكون من أسرى الحرب ، إزالة ما في ذهنه من أفكر وعقائد ومبادئ وآراء ومعلومات وحقائق ومشاعر واتجاهات وميول ونظريات سياسية أو وطنية ، كما تتضمن عملية غسيل المخ تعديل الاتجاهات العقلية للفرد بصورة متطرفة أو راديكالية ، كذلك فإن عملية غسيل الدماغ تتضمن إلى جانب تعديل الاتجاهات والأفكار والمذاهب والعقائد تتضمن تعديل سلوك الفرد . وتحويله من النقيض إلى النقيض وإرغامه على الإدلاء بما لديه من أسرار حربية أو عسكرية أو خاصة بالتنظيم الذي ينتمي إليه ، ومن ذلك تغيير اتجاه الفرد من الرأسمالية إلى الشيوعية مثلاً وذلك من منطلق أن تغير سلوك الفرد يؤدى إلى تغير عقائده السياسية أو الدينية والعكس صحيح حيث أن تعديل اتجاهات الفرد يقود إلى تعديل سلوكه ، ويشتق هذا اللفظ من مصطلح صيني يشير إلى عملية غسيل الدماغ أو غسيل المخ .

ولقد ظهر الاهتمام بدراسة هذه العملية بعد التجارب التي خاضها أسرى الحرب أو سجنا الحرب ، حيث كانت ، ومازالت ، تمارس عليهم عملية غسيل الدماغ بقصد استخلاص الاعترافات منهم و إرغامهم على إفشاء ما لديهم من أسرار حربية أو عسكرية ، أو لتحويل اتجاهات هؤلاء الأسرى من الإيمان بقضايا الوطن إلى التشكيك فيها واعتناق مبادئ العدو وأفكاره وقضاياه .

ويتساءل كثير من العلماء عما إذا كانت هذه العملية أو هذا "التنظيف" لمخ الأسير سوف يستمر بعد ذلك أم لا ، كذلك يتساءل العلماء عن الأضرار العقلية والنفسية والجسمية

التي قد تصيب الفرد بعد خضوعه لهذه العمليات القاسية ، وعما إذا كان في الإمكان أن يستعيد الأسير تكيفه النفسي والاجتماعي أو صحته العقلية والنفسية واتزانه الانفعالي بعد فك أسره[1] .

وتشير الدراسات في هذا الصدد أن تأثير شخصية الفرد يتوقف على مدى سلامته وصحته وثباته الانفعالي قبل السر وكذلك على مقدار رسوخ مبادئ وطنه وإيمانه بقضاياه وعلى شدة تمسكه بهذه المبادئ من عدمه .

Brainwashing:

Metaphorically speaking, a systematic a tempt to alter a person's ideas, attitudes and bliefs . Actually, the term is used two ways . The dominant use is, as above, with respect to belief, the other use is with respect to behavior . This second meaning derives from the work in cognitive dissonance which indicates that changing a person's behavior may produce changes in their beliefs .

The term itself, however, derives from a translation of a Chinese . Colloquialism and first came to be studied after experiences of prisoners of war .

Whether such emotional laundering has lasting effects, particularly after the person has returned to his original environment, is open to question[2] .

ويذهب إنجلش وإنجلش English and English إلى شرح عملي غسيل الدماغ ، بالتأكيد على أنها عملية استعارية ، للإشارة إلى إرغام الفرد للابتعاد بصورة راديكالية متطرفة عن أنماط سلوكه أو عاداته وتقاليده ومعتقداته ومبادئه وقضاياه وفلسفته أو عقيدته ، إرغامه للتخلي عن هذا ، وفي نفس الوقت تبنى أو احتضان أو اعتناق تلك الأفكار التي تفرضها عليها سلطة الأسرة أو السلطة التي قامت بالقبض عليه وإيداعه في السجن ، حتى يعود إلى وطنه وكأنه شخصية أخرى رافضًا لمبادئ مجتمعه وقضاياه ورسالته[3] .

(1) Reber, A.S., (1995), penguin dictionary of psychology, penguin Books, London, p. 104.

(2) Ibid, p. 104.

(3) English, H. B. and English. A. C., (1958), A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Long mans, London, p. 72.

ويشرح هذه العملية كل من إنجلش وإنجلش على النحو الآتي :

Brainwashing:

A metaphorical tem for the process of inducing a person to debart radically from his former behavior patterns and standards, and to adopt those imposed on him by his captors[1] .

غسيل الدماغ وفقًا للمفهوم النفسي الحديث :

الضغط النفسي والفسيولوجي المستخدمان في عملية غسيل الدماغ يمكن أن يرافقهما الضغط الاجتماعي . وهذه الحالة أيضًا ترافق استخدام بعض آليات أو عمليات علم النفس التحليلي التي يمكن أن يكون لها أثرها في إحداث التغيير المطلوب وخاصة ما كان منها متصلاً بمظاهر الشعور بالذنب والتقمص والاضطرابات النفسية للذات . ويتضمن علم النفس التحليلي الاعتقاد في اللاشعور والدوافع اللاشعورية وكذلك حيل الدفاع اللاشعورية وهي عمليات عقلية لا شعورية مثل التوحد أو التقمص والتبرير والإزاحة والعكسية والإسقاط والإنكار والكبت والنكوص والأحلام .

وعليه فإن غسيل الدماغ ينجح في المفهوم الحديث فرديًا وجماعيًا ، وهو أسلوب الإقناع الحديث المبنى على الدفع القسري ، وهو في المفهوم النفسي الحديث يعتمد أسلوب النقد والنقد الذاتي ، مع غض النظر عن محاولة إحاطة العملية بالظروف الضاغطة المختلفة ، بل ربما يتجاهلها كلية ويلجأ إلى أسلوبه العصري الذكي إلى الضغط غير المباشر والضغط الخفي مما يعتمد الثواب والعقاب غير المباشر[2] . ومعروف أن توفير الثواب أو المكافآت يثبت المواد المراد تعلمها وأن العقاب يساعد على محو المواد غير المرغوب فيها أو العادات السلوكية التي لا ترغب فيها سلطات الأسر[3] .

---

(1) English, H. B. and English. A.C., (1958), A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Long mans, London, p.72 .

(2) مصطفى الدباغ ، العقيد ، (1998) ، المرجع في الحرب النفسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص 155.

(3) Rathus, S.A. (1996) psychology in the new millennium, Harcourt Brace College Publishers, New York, p. 543.

النشأة الأولى لفكرة غسيل الدماغ :

ظهر هذا المصطلح بهذه التسمية لأول مرة في كتاب ألفه الصحفي الأمريكي "إدوارد هنتر " Edward Hunter في كتابه غسيل الدماغ على أثر الحرب الكورية ، عندما رجع بعض الأسرى الأمريكيين ، وقد تغيرت اتجاهاتهم حول العدو ، فقد أصبحوا من المؤمنين بالاشتراكية ، والمتحمسين لعدوهم السابق ، كارهين للمبادئ الرأسمالية وعاملين ضدها . وكذلك لقد تبين أن ثلث الأسرى الأمريكيين قد تبنو ا اتجاهًا جديدًا ضد وطنهم بعد أن تم فك أسرهم ، وبذلك توجهت الأنظار نحو دراسة هذه العملية دراسة علمية لمعرفة الآثار التي تتركها على شخصية الأسير .

ويعنى هذا المصطلح الذي يصف فيه الظاهرة الانقلابية في اتجاهات الأفراد بأنها بعض المحاولات المخططة أو الأساليب السياسية المتبعة من قبل الشيوعيين لإقناع غير الشيوعيين بالإيمان والتسليم بمبادئهم وتعاليمهم وقبول الفكر الشيوعي وتدعيم فكرة الملكية العامة أو امتلاك الدولة وليس الأفراد لمصادر الثروة وأدوات الإنتاج في المجتمع وتشغيل العمال وفقًا للمبدأ القائل : من كل إنسان على قدر طاقته ولكل إنسان على قدر حاجته .

وقد اشتق " هنتر " اصطلاحه هذا من الاصطلاح الصيني "His-Nao" الذي يعنى : تنظيف المخ ، والمستخدم للتعبير عن النظرية الصينية " إصلاح الفكر " أو إعادة التشكيل الأيدولوچي في برنامج التثقيف السياسي الذي يقوم ، أساسًا ، على أن كل الناس الذين لم يثقوا في المجتمع الشيوعي لا بد أن يكون لديهم اتجاهات ومعتقدات بورجوازية ، ويجب إعادة تثقيفهم .

فإن غسيل الدماغ أصبح أسلوبًا متبعًا في مجال الحرب النفسية ، ويستخدم بقصد إحداث التغيير المطلوب في اتجاهات الأفراد . وتغيير الاتجاهات كما هو معلوم هدف رئيس للحرب النفسية فرديًا أو جماعيًا ، وقد أصبح له مناهج أي تقنية ويتبع من خلال ماهية محددة على أن غسيل الدماغ هو " كل وسيلة تقنية مخططة ترمى إلى تحوير الفكر أو السلوك البشرى ضد رغبة الإنسان أو إرادته أو سابق ثقافته وتعليمه »[1] .

---

(1) مصطفى الدباغ ، العقيد ، (1998) ، المرجع في الحرب النفسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص 126 .

فلقد كان هذا المنهج يستخدم فيما يعرف باسم التربية العقائدية أو التربية السياسية أو غرس الأيدولوجية الشيوعية في أذهان الأسرى ، والوقوف ضد الفلسفة الرأسمالية أو البورجوازية والعمل على إعادة تربية الأفراد وتشكيل أدمغتهم وغرس الثقافة الشيوعية أو الاشتراكية لتحل محل الفلسفة الرأسمالية أو الاستعمارية . ولا شك أن عملية تعديل اتجاهات الأفراد من الأهداف الرئيسة للحرب النفسية وكانت هذه العملية سائدة في زمن الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الرأسمالي قبل انهيار الشيوعية .

أنواع غسيل الدماغ :

يقول السيد العقيد مصطفى الدباغ إن عملية غسيل الدماغ نوعان : الأول آلي طبيعي ، والثاني مبرمج اصطناعي ، فما هو الآلي ؟ وما هو الاصطناعي ؟ الأول ما يحدث آليًا بتهيئة الظروف دون التدخل في عملية الغسيل بالإقناع ، حيث يصبح الدماغ في حالة من الإنهاك الطبيعي يتقبل معها الإيحاء ، وفي الاصطناعي يحدث مرافقة تلك الحالة بالإقناع المقنن أي الإقناع الذي يرافقه وضع الفرد بظروف معينة اصطناعية تنهك عقله وتجعله جاهزًا للاقتناع بضرورة التغيير . ولكن الحقيقة أن إنهاك الإنسان وعقله وإضعافه هو نوع من التغيير العمدي المقصود عن طريق تهيئة الدماغ لقبول الأفكار الجديدة والإدلاء بالاعترافات التي ترغب فيها سلطة الأسر فلا يوجد غسيل دماغ تلقائي طبيعي .

النوع الأول :

وفي عملية غسيل الدماغ الآلي ، تمارس الضغوط الشديدة على الإنسان حتى يقبل الأفكار الجديدة ، وتؤكد بعض الدراسات أنه إذا أخضع جسم الإنسان لضغوط خارجية ، فإنه يتكيف عن طريق إبداء نشاط معاكس للضغوط بغية تحقيق الوازن ، ويتزايد هذا النشاط بتزايد الضغوط الخارجية ، وبعد مستوى معين من الضغط لا يعود النشاط متناسبًا مع الضغط أي أنه يتابع التزايد ، لكن بسرعة أقل من سرعة تزايد الضغط الخارجي . وعند الوصول إلى حد أقصى[1] الضغوط يحدث الانهيار والتسليم أو الفرار والهروب أو التجمد والموت .

(1) Hilgard, E.R. (1963) introduction to Psychology, Rupert Hart – Davis, London.

ويؤثر التعب والنفور وتقل محاولة بذل الجهد حتى يبلغ الضغط مستوى يصبح أي جهد بعده عديم الجدوى ، وهنا تزول الفاعلية ليحل محلها جمود تام واستسلام وانهيار وضعف والاستعداد لقبول أي شيء للخلاص من هذه الضغوط المؤلمة ، ومن هذه الضغوط تعريض الأسير للبرد الشديد أو الحر الشديد أو الإضاءة الشديدة أو الضوضاء العالية أو الحرمان من النوم والطعام و الشراب .

ونتيجة الشعور بإعياء المعركة Combat Exhaustion يبدأ المحارب بالتعب بسبب الحرمان من النوم والإرهاق المستمرين ، ثم تختلط عليه الأصوات ، وتظهر عليه أعراض الخوف والتشويش والارتباك والاستجابة الحادة التهيجية إلى حالة الخمود والتثبط ، وذلك وفقًا لنظرية إيفان وبافلوف فيصبح خاملاً بطئ التفكير بليد العاطفة جامد التعبير فالضعف والتعب والإرهاق والإعياء كلها أمور تساعد على الاستسلام والعجز عن المقاومة ، وهنا يقبل الأسير ما يوحى إليه به من قبل سلطة الأسر .

فالدماغ الذي هو في حالة توازن طبيعي بين التحفز والتثبط الشديدين قد يمر بحالة مستمرة من التحفز الحاد أو التثبط الحاد ، وهى الحالات المرضية التي تحدث في المعركة لبعض الجنود ، والإنسان الذي يصل نتيجة لما يمر به من الشدائد النفسية والعصبية والعاطفية إلى تلك الأدوار ينهار ، ويصبح مستعدًا لتقبل الإيحاءات والأفكار الجديدة بسهولة ، فالجنود يفقدون التجارب والعادات التي اكتسبوها نتيجة ضغوط المعركة والتي تظهر على شكل هستيريا أو فقدان الذاكرة أو التأتأة واللجلجة الكلامية أو الإغماء والجمود أو الذهول ، ولكن هذا يتوقف على مدى تمتع الجندي سلفًا بالصحة النفسية والعقلية والجسمية والعصبية فليس من الضروري أن يعانى جميع الجنود من إنهاك المعركة .

النوع الثاني :

غسيل الدماغ الاصطناعي العمدي أو المتعمد أو القسري بمفهومه الدقيق هو أسلوب بمن أساليب الحرب النفسية التي تتبع تقنية محددة بقصد تغيير اتجاهات الأفراد بالإقناع القسري المقنن ، ويلزم الوقوف على تقنية أو أسلوب الإجراء المحدد من جهة ، ثم التعرض للاتجاهات ثم عملية الإقناع القسري المقنن .

ويعنى هذا أن الضغط الطبيعي الذي يوصل الدماغ إلى مرحلة الإنهاك والإعياء التامين

والتعطل عن العمل وتقبل الإيحاء والانهيار ن والتحرر من العادات المكتسبة يمكن أن يقنن ويصطنع أي يمكن تصنيع الإعياء ومرافقته بسائر الفنيات التي تؤدى إلى القولبة المطلوبة للاتجاهات بعد التخلي بالإقناع القسري عن غير المرغوب فيها ، أي إيجاد حالة من الإعياء الصناعي ، بحيث ينهك العقل فيتقبل الأفكار الجديدة بسهولة وينهار ، فيغسل ، ويتطهر من العادات المكتسبة السابقة غير المقبولة[1] ، من وجهة نظر سلطة الأسر .

ومؤد ذلك أن سلطات الأسر تتعمد إنهاك الأسير وإضعاف قوته ومقاومته والنيل من عقائده السابقة ومن مشاعره الوطنية والحماسية ومن إيمانه بقضية وطنه التي يحارب من أجلها .

غسيل الدماغ الجماهيري أو الجماعي :

يميل معظم الباحثين في موضوع غسيل الدماغ إلى اعتباره منهجًا يستخدم وينجح على المستوى الفردي أي عند ممارسته على الأفراد ولا ينجح إذا استخدم على مستوى الجماهيري ولكن البحث المتقصي الدقيق واستقراء الواقع يؤكدان وجود ما يسمى بغسيل الدماغ الجماهيري Mass Brainwashing أي الجمعي وبالمقابلة العملية والعلمية لما يجرى وقياسه على التقنيات وآليات عمل غسيل الدماغ نجد أنه يتم ويمارس على الجماهير أو على جماعات كبيرة أو على شعوب عندما كانت الشعوب العربية ترغب في دخول الاشتراكية مستخدمة الأساليب نفسها التي تستخدم على المستوى الفردي ، ذلك أن العالم يشهد الآن كثيرًا من الجهات التي تخطط إعلاميًا وقد يكون نشاطًا تربويًا للتأثير على الشعوب وعلى أنماط تفكيرها أو انتمائها لفكر معين[2] أو فلسفة أو ثقافة أو حضارة محددة ، ومن ذلك ما يحدث في إطار العولمة الثقافية وطمس ثقافات المجتمعات الصغيرة وغرس غيرها على هوى القوى الكبرى في الاستعمار الجديد ، وذلك بتسليط أبواق الرعاية والإعلام وعمل المؤتمرات وحلقات الدرس وانعقاد المحاضرات والبيانات والخطب السياسية ونشر الكتب والمجالات والدوريات والصحف وإطلاق الشعارات والنداءات والعبارات مثل فكرة "الإسلامو فوبيا" في الغرب وتحريض الشعوب الغربية على العرب وعلى المسلمين وذلك عن طريق

(1) مصطفى الدباغ ، العقيد ، ص 132 .

(2) مصطفى الدباغ ، العقيد ن ص 144 .

الإلحاح والتكرار والإصرار على نشر فكر معين يخدم الدولة . والواقع أن كل دولة ترغب في أن يلبس أبناؤها ثوبًا فكريًا معينًا .

أساليب عملية غسيل الدماغ :

عملية غسيل الدماغ تعرف بأنها : « أسلوب من أساليب الحرب النفسية ، يستخدم لتغيير اتجاهات الأفراد متبعًا وسيلة تقنية محددة وذلك عن طريق الإقناع القسري المتقن » ولكنها تستخدم في إطار الحرب النفسية أو الإقناع الجماهيري في وقت السلم أو بعد انتهاء الحرب ، وهذا التعريف يقرر أمورًا ويستبعد أمورًا :

(أ) ومن الأمور أو الحقائق التي يقررها هذا المفهوم ما يلي :

1) أن غسيل الدماغ أسلوب مصطنع لنقبل من ثم على المغاير له في حالة ما يحدث طبيعيًا ، ومصطنع أي أنه أسلوب يتبع تقنية محددة تستهدف اتجاهات الأفراد لتغييرها قسريًا بجهود مقصودة ومخططة ومتعمدة ومدروسة .

2) أن التقنية المحددة التي يتبعها هي الوصول بالدماغ إلى حالة من الإعياء اصطناعيًا كتلك التي تأتى طبيعيًا في إعياء المعركة نتيجة جملة من الضغوط المتزامنة . وذلك لأن الإعياء يساعد على الاستسلام وقبول آراء الغير .

3) غسيل الدماغ يفتعل الضغوط المختلفة التي تتراوح ما بين العزل والحرمان والتهديد والإذلال والتعذيب وغيرها من الضغوط التي تفضي إلى ثلاثة عوامل هامة هي : الوهن أو الضعف والهزل ، والاعتماد على الغير ، والخوف . ويقننها ضمن عمليات التعلم التي تعتمد على الثواب والعقاب لتعزيز المواقف المتعلمة فيما يعرف في عملية التعلم الشرطي وهو المنحدر من أعمال عالم النفس الروسي إيفان بافلوف وخاصة مبدأ التعزيز الإيجابي أي تقديم المكافآت والتعزيز السلبي أي فرض العقاب على السلوك غير المرغوب أو المطلوب إزالته . وذلك ليغير من اتجاهات الأفراد في مراحل محددة هي التذويب ، فيتشكك الفرد بأفكاره السابقة ، ثم التغيير ، وهنا يبدأ الفرد بتبني وجهات النظر المطروحة ، ثم ينتهي إلى المرحلة الأخيرة وهي إعادة التجميد ، وهي العملية التي تهدف إلى تثبيت الوضع الجديد الناتج ، بحيث يبدو مقبولاً وسارًا للفرد ، وكل هذا التغيير يتم عن طريق الإقناع القسري ، فعوامل الضغط من وهن واعتماد على الغير والخوف تعمل ضمن

عمليات التعلم وما تتضمنه من ثواب وعقاب لإحداث لتغيير المطلوب ، ولكن بصورة غير إنسانية ، حيث تهدر فيها حقوق الإنسان وحقوق السجناء أو الأسرى .

(ب) وتعريف غسيل الدماغ على هذا النحو يستبعد أمورًا منها :

1) أن غسيل الدماغ ليس مجرد تثقيف سياسي أو تعليم ، لأن التعليم هو تغيير مستمر نسبيًا في السلوك ، يحدث نتيجة التمرين والتكرار والممارسة والموافقة أو الرغبة ، فهو لا يفترض إقامة بناء جديد على أنقاض بناء قديم هدم قصدًا لأن التعليم بناء تراكمي للخبرات وإن كان التثقيف العقائدي سبق أن استخدام أساليب غسيل الدماغ عن طريق قيام الدولة بتكرار أفكارها حتى يقبلها الأفراد .

2) غسيل الدماغ ليس مرادفًا للتنويم المغناطيسي ، فغسيل الدماغ يعتمد على الإقناع القسري لتغيير الاتجاهات ، أما تقنية التنويم المغناطيسي فتقوم على نسيان بعض الأفكار ولا يغيرها بمعنى لا يزرع أخرى جديدة مكانها ، فمحور التنويم والعامل الأهم فيه هو الإيحاء وليس الإقناع ، وشتان ما بين العاملين . حيث يقوم الإقناع عن تقديم الأدلة والشواهد والبراهين وإجراء التجارب ، أما التنويم المغناطيسي فهو حالة من الاسترخاء تشبه النوم وفيها يصبح الفرد شديد القابلية للإيحاء[1] . فالتنويم المغناطيسي حالة تشبه النوم ، ولكنه ليس نومًا كاملاً ، وفي أثناء التعرض للتنويم يكون الفرد شديد القابلية للإيحاء ، فيقبل الأفكار والآراء والسلوكيات التي يوحى بها إليه المحلل المغناطيسي .

3) غسيل الدماغ ليس مرادفًا للتحليل النفسي ، فالتحليل النفسي منهج علاجي يعتمد على قبول العميل أولاً وعلى إيجابية العلاقة بينه وبين المعالج ، ليتم تغيير العادات المرضية وهذا يغاير مفهوم الإقناع القسري في غسيل الدماغ[2] فالتحليل النفسي أحد مناهج العلاج النفسي ويستهدف الكشف عن محتويات أو مكونات اللاشعور في الفرد تلك المكونات تشتمل على الدوافع والرغبات اللاشعورية المكبوتة أو المنسية ، وكذلك الخبرات والذكريات المؤلمة التي مر بها الفرد ، والتي يخجل من الإفصاح عنها في حالة الوعي التام وبعد الكشف عن العقد النفسية يتم التعامل معها على مستوى الوعي

(1) Baron, R.A. (2004) psychology, Prentice – Hall of India, New Delhi, p. 150.

(2) مصطفى الدباغ ، العقيد ، (1998) ، ص 127 .

والفهم والاستبصار ، ولذلك يحدث الفاء للمريض ويتم إزالة ما يعانى منه من الأعراض المرضية[1] .

حيث أن تعديل الاتجاهات هو الهدف من عملية غسيل الدماغ ، ولما كانت آلية التغيير تتمثل في وقوع العقل تحت الضغط النفسي والفسيولوجي الشديدين مما يوصله إلى درجة الإنهاك والتعب التي يتقبل فيها الأفكار التي تمرر عليه والمراد إقناعه بها وذلك دون مقاومة أو قدرة على الرفض أو الجدال والحوار والنقاش ، وكذلك فإن منهج عملية غسيل الدماغ يتوقف على ممارسة الضغط ويتمثل في :

وصول الأسير إلى حالة الوهن ، والاعتماد على الغير ، والخوف من سلطة الأسر ومن المستقبل المجهول بالنسبة له .

وتمر تقنية غسيل الدماغ بثلاث مراحل هي :

1) العزل واستخدام الضغوط مما يؤدى إلى التشكيك في معتقدات الأسير .
2) تأنيب الضمير ، وفيه يتم تصعيد تعاظم الشعور بالذنب والنقد الذاتي وإن كان ذلك لا يعتمد على حقائق أو على أخطاء ارتكبها الأسير فعلاً .
3) الإقناع القسري وفيه يتم إعطائه الصورة المقابلة فيتراجع عن أفكاره القديمة ، ويتبنى أفكارًا جديدة[2] . هي الأفكار أو السياسة أو الفلسفة التي يريد له آسره أن يعتنقها كالتحول من الفكر الرأسمالي إلى الفكر الشيوعي أو من الإيمان بقضايا الأسير الوطنية إلى عدم الإيمان بها وقبول أفكار سلطة الأسر .

مراحل علمية غسيل الدماغ :

تمر عملية غسيل الدماغ بعدة مراحل أو خطوات هي كما يوردها العقيد مصطفى الدباغ ما يلي :

1) التذويب :

هدف هذه المرحلة أن يصبح الفرد في وضع يشك معه في القيم التي يحملها وهى القيم

---

(1) Oltmanns, T.F. and Emery, R.E., (1998), A bnormal psychology, prentice – Hall, New Jersey, p. 38.

(2) مصطفى الدباغ ، العقيد ، ص 138 .

الرأسمالية مثلاً لدرجة يميل معها إما على تغييرها واعتناق قيم بديلة لها هي القيم التي ترغبها سلط الأسر ، هذه المرحلة التي تنتهي ، عادة ، باعترافات عن الأخطاء التي يقترفها النظام الرأسمالي ضد حقوق الأفراد أو حقوق الإنسان ، وذلك من وجهة نظر السلطات الشيوعية ، وذلك عن طريق الاعترافات المزيفة التي هدفها التخفيف من وطأة الحياة داخل السجن ، بعض الجوانب المحيطة بهذه العملية تتمثل في كون السجين يعرف أن عليه أن يعترف بأمر ما ، ولكن لم يكن يعلم شيئًا عن طبيعة هذا الأمر . بمعنى دفع الأسير دفعًا للاعتراف بأمور لم يرتكبها وذلك رغبة منه في تخفيف شدة الضغوط والإهانات التي يتعرض لها ولتحسين معاملته من جانب سلط الأسر .

2) **التغيير :**

وهى المرحلة التي يتم خلالها التغيير المطلوب ، وتأتى عندما يبدأ السجين في رؤية أهمية النقاط التي يرد ذكرها في المحاضرات الخاصة بمزايا النظام الشيوعي وعيوب النظام الرأسمالي حتى ينتهي به الأمر إلى كراهية النظام الرأسمالي ، والميل إلى النظام الشيوعي أو العكس إن كانت سلطة الأسر رأسمالية .

3) **إعادة التجميد :**

وهى عبارة عن عملية هدفها تثبيت الوضع الجديد الناتج بحيث يبدو مقبولاً للفرد وسارًا له .

ويلاحظ السجين أن سلوكه الجديد يبدو معقولاً وسليمًا ويتفق مع إدراكاته لواقع الأمور ، وإذا نجحت هذه المرحلة بالفعل فسيظل هذا السجين متحمسًا لنظام الحياة الشيوعية حتى بعد خروجه من السجن[1] ، ما ينطبق على غرس الفكر الشيوعي ينطبق على غرس أي مذهب آخر أو عقيدة أخرى أو فلسفة أو قضايا أخرى .

يتعرض الفرد للضغط stress حتى يصل إلى مرحلة الإنهاك العقلي والجسدي وعندها يخضع للإقناع المقنن أو المنظم .

---

(1) مصطفى الدباغ العقيد ، ص 139 .

4) **العـزل :**

ويهدف العزل على خلق الاهتمامات والانشغالات الذاتية ، وجعل الشخص يعتمد على الآسر أو المستجوب ، وإبعاد التأثيرات الاجتماعية والنفسية والإدراكية التي تلهى الأسير عن الانشغال بذاته للتعجيل بالانهيار النفسي . حيث يتعرض الأسير لمؤثرات أو مثيرات تسقط عليه كرهًا من طرف واحد ولا يوجد من يجادل أو يناقش أو يدحض ، وقد دلت التجارب على أن العزل الاجتماعي لفترة طويلة يؤدى إلى حدوث خلل في الوظائف العقلية ، ويعبر عن ذلك باصطلاح العصاب المؤسسي[1] ، والذي يحدث بعد إقامة المريض أو السجين فترة طويلة في السجن ، كما يؤدى إلى الاضطرابات في الإدراك والحس والرؤية والسمع ، وضعف القدرة على التركيز ، ويزداد التنبه العصبي لأتفه المؤثرات مما يجعل الشخص المعزول في حالة من الوهن والانهيار النفسي ، بحيث يتقبل الإيحاءات بلا تردد أو مقاومة ، حيث تقع عليه المؤثرات من طرف واحد .

5) **الحرمان :**

ويتراوح ما بين الحرمان من الطعام إلى الحرمان من الراحة الجسمية / النفسية ، بحيث يجهد الفرد ويصل إلى حالة من الإعياء والوهن الشديدين وربما الانهيار ، كما يشمل المضايقة الجسدية ، بحيث يوضع الأسير في أماكن مظلمة وضيقة وحارة صيفًا وباردة شتاء ، كما يحرم من قضاء حاجته في فترات متفاوتة للإمعان في تحطيم أعصابه ، ويوضع تحت المراقبة المستمرة . وقد يرغم على ارتداء ملابس أطفال صغيرة أو ملابس نسائية ، وقد يلغى اسمه ويستعاض عنه برقم معين ، وذلك لفقدان هويته وشخصيته ويضعف ، بعد أن كان طبيبًا مرموقًا أو ضابطًا كبيرًا أو رئيسًا لمؤسسة كبرى ، وذلك بقصد هدم هويته والنيل من احترامه لذاته .

6) **الإذلال :**

يعتمد الإذلال على إتباع كل نظم السجن التي تتطلب الخضوع التام مع الإذلال في أسلوب تناول الطعام والنوم والاغتسال طبقًا لنظم محددة ، وكذلك الملابس غير المريحة التي يرتديها الأسير ، ويشمل التحقير بمنعه من تنظيف نفسه من قضاء حاجته أو تعرضه لعقاب تحقيري كالصفع والشتم بقصد الإهانة ، والتهديد بفضح أمره في العلن وفي الصحف .

---

(1) English, H.B. and English , A.C., p. 344.

7) **التعذيب :**

التعذيب الجسدي والنفسي ، يهدف إلى جعل الأسير المستهدف في حالة تمزق نفسي ، والوصول به إلى حالة الإعياء ، كما في إعياء المعركة ، والانهيار ، وهو يتراوح ما بين العنف المباشر والعنف غير المباشر ، كاستخدام قطرات الماء طوال فترة التحقيق أو التعريض للحرارة والبرودة أو وضع الفرد مقيدًا في إناء يرتفع فيه الماء حتى يصل إلى انفه في بعض الأحيان فلا يدرى كل مرة في أية لحظة سيتوقف تدفق المياه ، وهل هو مراقب ، أم سوف ينسى في هذه المرة [1] . وقد تسلط عليه سلطات السجن بعض السجناء بالهتاف ضده ونداته بأسماء حقيرة مثل : الجاسوس – الخائن – الاستعماري – الرأسمالي – الاستغلالي – الابتزازي – العدواني – وتتكرر هذه الهتافات والنداءات ضده .

آلية عمل غسيل الدماغ :

ولفهم مكانيكية عملية غسيل الدماغ يمكن وضع هذه المعادلة على المستوى العلمي الفردي ، تشمل ممارسة الضغوط النفسية والجسدية والإنهاك والضعف والإيحاء وزيادة القابلية للإيحاء مما يقود إلى حالة من التعليم القسري عن طريق استخدام الثواب أو المكافآت والعقاب حتى تحدث الاستجابة الشرطية المتعلمة أو المكتسبة .

وتمر عملية غسيل الدماغ من خلال مرحلتين أساسيتين هما :

1) مرحلة التخلي عن الأفكار القديمة غير المرغوب فيها من وجهة نظر سلطات الأسر باستخدام الضغط والعزل والحرمان والإجهاد العقلي الشديد ، يؤدى ذلك إلى حالة من الانهيار النفسي والجسدي ، وزيادة قابلية الإيحاء الشديدة إلى أعلى الدرجات ، فيتم في هذه الحالة تشويه الأفكار القديمة فالتخلي عنها ، وبذلك تحدث الاستجابة الشرطية المطلوبة أي الاستجابة المتعلمة ، وهى الربط الشرطي بين التخلي عن تلك الأفكار وبين رفع الضغوط المختلفة .

التخلي عن الأفكار القديمة ← تؤدى إلى ← تحسين معاملة الأسير

بمنع الإهانات والحرمان والأذى والعقاب والسماح له بشيء من الحرية .

---

(1) مصطفى الدباغ ، العقيد ، ص 140 .

2) مرحلة قبول الأفكار الجديدة المرغوب فيها من وجهة نظر سلطات الأسر ، وذلك باستخدام العزل ، والحرمان ، ثم الإجهاد ، والانهيار ، ويؤدى هذا إلى القابلية العالية للإيحاء ، ثم تقديم الأفكار الجديدة أي الاستجابة الشرطية المطلوبة ، حيث يقبلها الأسير[1] . حيث يمكن تعليم الفرد بعض الاستجابات وكذلك تعليمه كف بعض الاستجابات أو العادات الأخرى باستخدام آلية التعزيز الإيجابي أو السلبي في إطار التعلم الشرطي أو تكوين الاستجابات الشرطية ، حيث تحل المثيرات الصناعية أو الشرطية محل المثيرات الطبيعية[2] .

علمية غسيل المخ التي تمت في الحرب الكورية :

لقد أجريت دراسات مكثفة على أسرى الحرب الأمريكية / الكروية (1953) ، والذين تم أسرهم were Captured عن طريق الصينيين .

وتم دراسة رد فعل السجناء لحالات الحرمان القاسية والمعاملات غير الإنسانية التي تعرضوا لها ، وكذلك تأثير تقديم المكافآت لهم ، وعلى سبيل المثال ، تم دراسة التأثير الذي وقع على القادة بعد أن تم انفصالهم عن قواتهم أو جنودهم ، وهى تجربة قد تكون قاسية ، وتم علم تحقيقات للحصول على الاعترافات عن الأعمال التي قام بها الأسير . في أثناء هذه الحرب تم أسر سبع آلاف جندي أمريكي عن طريق كوريا الشمالية ، ولقد توفى اقل من نصفهم في معسكرات الأسرى . مما يؤكد ويلات الحرب وآثار ها السيئة على الدول والشعوب والأفراد حتى بالنسبة لمن ينتصر فيها .

وقليل من الذين عاشوا هم الذين عادوا للولايات المتحدة الأمريكية ، وهم الذين قرروا كيف كانت معاملتهم في الأسر .

لقد تعرضوا للمجاعة Were starved ، وتم سحلهم ، وضربهم ، وتم عرضهم علنا للمارة ، وتمت إهانتهم أمام الجمهور المدني كنوع من التحكم الفكري أو كعملية من عمليات غسيل الدماغ ، علمًا بأن تعذيب الأسرى أو إهانتهم أمور مخالفة للقانون الدولي واتفاقيات

---

(1) مصطفى الدباغ ، العقيد ، ص 145 .

(2) Baron , R.A. (2004), p. 71 .

جنيف في شأن معاملة الأسرى ، وهذه المعاملة القاسية أرغمت بعض السجناء للتوقيع على اعترافات confessions ، حيث اعترفوا بعمل أنواع السلوك الذي انطوى على الوحشية والشناعة والفظاظة أو الرداءة البالغة أو الأعمال الشريرة أو الرديئة جدًا atrocities ، وهناك نسبة كبيرة منهم اعترفت بأنها تعاونت مع العدو الكوري على القليل في عمل واحد كعمل تسجيلات صوتية لصالح العدو . وكان يكلف بعض الأسرى برعاية أو مراقبة عدد من زملائه وبعضهم قدم مساعدات لقادة الأسر عندما كانوا يواجهون صعوبة ما . وقد يشترك الأسير في التجسس على زملائه كما يشترك في الهتاف ضده وفي دعوته لقبول الأفكار الشيوعية .

ولقد اعتمدت المناهج المستخدمة في عملية غسيل الدماغ على المبادئ المعروفة في علم النفس في مجال التعلم ، وفى مجال الدافعية ، وكذلك في علمية الإحساس والإدراك الحسي ، وكان الضغط يتسم بعدة سمات منها ، على سبيل المثال ، لا الحصر ما يلي :

أساليب الضغط على الأسرى :

1) جعل السجناء ضعفاء بدنيًا أو جسميًا من خلال التعرض للمجاعة والعقاب البدني للشعور بالتعب والإرهاق والإنهاك .
2) فترات الحرمان من النوم ، وكذلك الحرمان من الطعام أدت إلى شعور الأسرى بالاعتماد على سلطة الأسر ، وكانت هذه الاعتمادية تزداد سوء عن طريق عزل السجناء وآثارة الحاجة لديهم للصحبة أو الالتحاق بالآخرين ، ومعنى ذلك تعريض الأسير لحالات من الحرمان الفيزيقي والسيكولوچي ، ومن ثم الاعتماد على سلطات الأسر وحدها وبعد ذلك يصبح من السهل اعترافه بأحداث ارتكبها فعلاً وأخرى لم يرتكبها ، ولكنه يعترف بارتكابها لإرضاء سلطات الأسر .
3) غرس الشعور بالخوف في الأسير في أثناء الليل والنهار أيضًا ، وكانت المخاوف في السجون حقيقية وكثيرة[1] . وكأن يسمع أصواتًا مخيفة أو تلطخ جدران الزنزانة بالدماء أو سماعه أصوات أناس يتلقون التعذيب في الغرف المجاورة أو الاستمرار في استجوابه

(1) Gilmer, B.H., (1967), Applied psychology, Tata McGraw – Hill, publishing Company Limited, New Delhi, p. 434.

لساعات طويلة دون راحة . وقيام المحقق بإيهامه أنه في الجلسة السابقة اعترف بكذا وكذا من الأعمال في حين لم يكن قد اعترف بهذا ، وذلك حتى يصل إلى حالة من الخلط والتشويش الذهني فلا يستطيع أن يميز بين اعترافاته هو "واعترافات" المحقق .

التوسع في تطبيق هذه العملية :

استخدام عملية غسيل المخ في المجالات العسكرية والأمنية والاجتماعية عبارة عن تغيير اتجاهات المرء السياسية ، عاد تغييرًا جذريًا ، والاصطلاح مأخوذ من كلمتين صينيتين تعنيان "غسل المخ" ، ويتضمن ذلك استخدام وسائل الإكراه البدنية والنفسية والعقلية ، كالسيطرة المطلقة على الفرد أو المجموعة ، وإخضاعه للنظام الصارم ، وإبقائه لفترة مسجونًا دون إخطاره بأسباب القبض عليه ، وعزله تمامًا عن العالم الخارجي وحرمان من المثيرات الأخرى ، وتعذيبه نفسيًا وبدنيًا ، واستمرار استجوابه لفترات قد تصل إلى 16 ساعة يوميًا ، وتناوب المستجوبين عليه ، وإنقاص وجباته الغذائية ووزنه ، وإجهاده وإذلاله واتهامه باستمرار بجرائم ارتكبها أو لم يرتكبها ، يستعين المسجون برئيس مستجوبيه لتلطفه معه دون بقية المستجوبين ، وينهار فكريا ونفسيًا أمام الإجهاد والتعب والإرهاق ، ويتقبل الإيحاء والاتهامات التي توجهها له سلطة الأسر ويقبل حقيقة أنه مذنب ، ويتحلل أناه ، ويتشكل سلوكه ، ويتدعم لديه السلوك الذي يجلب عليه الرضا من جانب آسريه ، ويستبعد من عنده السلوك الذي يجر عليه السخط ، ويلين أمام تناوب الخوف والأمل . ويتكلف غسيل المخ أموالاً طائلة ووقتًا طويلاً وعددًا كبيرًا من المختصين في علم النفس[1] . وفي الاستجوابات العسكرية والأمنية والقانونية ، والمصطلح استعاري وليس له دلالة حرفية .

وكان أسلوب الكوريين مع الأسرى يتلخص فيما يلي :

1) الاستقبال الجيد .
2) تكرار تهنئة الأسرى لهربهم من قيود الرأسمالية والتركيز على أن يكونوا مقاتلين من أجل السلام .
3) التوقيع على تعهد ودعوى من أجل السلام .

---

(1) الحفني ،عبد المنعم ، (1994) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص 112 .

4) يعبئ الأسرى استمارات معنوية للصليب الأحمر تكون بأسئلتها ذات المحتوى الاجتماعي مرجع معلومات واف عن الأسير .

5) يمارس المحقق مع الأسرى أسلوب الثواب والعقاب بعد تقسيمهم إلى مجموعات صغيرة .

6) يخضع الأسرى لمحاضرات " تثقيفية تنويرية " تستمر – على فترتين ، خمس ساعات يوميًا تبين أو توضح مزايا النظام الشيوعي ، وعيوب نظام الرأسمالي ، كما توزع عليهم نشرات ونداءات اشتراكية لحفظها ، ومن يبدى عدم اكتراث تعاد عليه المحاضرة ليلاً أو فجرًا .

7) يعرض الأسرى للاستجواب المتكرر ، حيث تتخلله الوسائل النفسية للإرباك .

8) يتعرض الأسير للعزل عن حياته السابقة وتقطع الرسائل عنه ، ثم يسمح للأسرى بإذاعة الرسائل الإعلامية التي تضمن الدعوة إلى السلام[1] .

الفرق بين عملية غسيل الدماغ والتحليل النفسي :

التحليل النفسي من الحقائق التي يجب معرفتها باعتباره أسلوب علاجي يعتمد على قبول العميل بالعملية أولاً وعلى إيجابية العلاقة بين الطبيب والعميل بل وضرورة قيام "رابطة عاطفية" بين المحلل والمريض في الجلسات الأولى من التحليل النفسي لبناء الثقة بينهما .

وعلى ذلك فالتحليل يعمل على تقوية عادات أصلية ومعتقدات موجودة لدى الشخص إذا كانت معتقدات سوية أو مقبولة أخلاقيًا واجتماعيًا .

عمليات التحليل النفسي :

الاستبصار وهو الذي يحدث عن طريق عملية التداعي الحر ، وكذلك عن طريق عملية الاستبصار والتفسير[2] ، مع التصريف الانفعالي أو التفريغ الوجداني يجب أن يتبعها علمية تعلم ، وهذا كله يعتمد على مدى إيجابية ومشاركة العميل ورضاه ورغبته في الشفاء وتلقى العلاج ، ولذلك فالاستبصار وهو عماد التحليل لا يتم أثناء النوم أو الخدر ، ومشاركة المريض يكون لها وجود وهى الشرط الأساسي في التحليل ، وأما المكنونات المكتشفة فقد

---

(1) مصطفى الدباغ ، العقيد ، (1998) ، المرجع في الحرب النفسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان، ص 130 .

(2) Reber, p. 374.

تختلط بالأحلام .

وعليه ، فإن التحليل النفسي ، كغيره ، هو مفهوم لا مكان له في علمية غسيل الدماغ ، فهو أسلوب علاجي يعتمد على مشاركة العميل الإيجابي لتغيير العادات ويختلف هذا من الإقناع القسري[1] . المتضمن في علمية غسيل الدماغ .

غسيل الدماغ وأثره في تعديل أو تغيير الاتجاهات العقلية والسمات والعادات الشخصية :

الاتجاه العقلي هو حالة أو وضع نفسي عند الفرد يحمل طابعًا إيجابيًا أو سلبيًا تجاه شيء أو موقف أو فكرة مع الاستعداد للاستجابة بطريقة محددة مسبقًا نحو مثل هذه الأمور أو كل ما له صلة بها من ذلك الاتجاه نحو الوحدة العربية ، أو القومية العربية أو الحرب أو السلام أو الرأسمالية أو الاشتراكية ، والوضع النفسي والاستعداد لهما مظاهر عاطفية وعقلية ، وهو يتكون من خبرة الفرد عن طريق التجربة أثناء احتكاكه بالآخرين ، فالاتجاه ليس وراثيًا ، وإنما هو خبرة مكتسبة من البيئة عن طريق التعلم وغيره .

وعناصر الاتجاه ثلاثة هي :

1) المظهر العقلي ويشير إلى المعتقدات حول موضوع ما أو العنصر المعرفي .
2) المظهر العاطفي أو الوجداني ، ويشير للانفعالات والعواطف المرتبطة بموضوع الاتجاه .
3) المظهر الدافعي أو النزوعي أو السلوكي ويشير إلى الميل في السلوك المرتبط بالاتجاه نحو أو ضد موضوع الاتجاه ، وهناك من يقول إن هناك اتجاهات محايدة نحو موضوعات معينة .

والتجارب الشخصية الحادة والنادرة تؤثر بقوة في ترسيخ اتجاهات محددة ثم تحدد تكوين الاتجاهات الحالية النفسية الخاصة بالفرد[2] .

ومن الخبرات التي تؤدى إلى تكوين اتجاهات بصورة سريعة وفجائية قيام أحد السود الأمريكان مثلاً بإنقاذ شخص أبيض من الغرق في هذه الحالة يتكون لدى الشخص الأبيض اتجاه موال للسود الزنوج .

---

(1) مصطفى الدباغ ، العقيد ، ص 154 .

(2) مصطفى الدباغ ، العقيد ، ص 136 .

التصدي لعملية غسيل الدماغ :

تعتمد مقاومة غسيل الدماغ على ما يتعرض له الشخص المستهدف بالعملية من ضغوط من جهة ، ثم على مدى قدرته على المقاومة بما لديه من مناعات نفسية وانفعالية وروحية وجسمية وفسيولوجية من جهة أخرى . ويتوقف ذلك على سلامة شخصيته قبل السر وعلى مدى رسوخ مبادئه وقيمه ومعتقداته وإيمانه بقضايا وطنه .

1) القيادة الكفوءة والمثابرة والتكرار في الاجتماعات واللقاءات مع الجنود :

تكرار الاجتماعات بين القائد وجماعته يحافظ على تماسكها وعلى أدمغة الأتباع من الإهمال ، والاستسلام ، كما أن شعور الفرد بإشراف المسؤول يعزز ثقته ويقوى انتماءه لوحدته العسكرية أو مؤسسة العسكرية أو لوطنه .

2) تزويد الجنود بوسائل المناعة الذاتية والمقاومة :

وذلك عن طريق المحاضرات والتوعية والتربية والإعداد بصفة مستمرة مما يجعل الجندي صلبًا عند الأسر ، حيث يدرب على ما قد يجابهه في الأسر ، ويندرج تحت هذا تدريب الجنود على عدم التعاون مع العدو وعدم الاهتمام وعدم الإصغاء الجدي وهذا يزودهم بالقدرة على الاحتفاظ بكيانهم وتفكيرهم الأصيل ضد عملية غسيل الدماغ . بمعنى وجود دور للقادة وكذلك دور لبناء المناعة والقوة والصبر والصمود والجلد وقوة الاحتمال والتمسك بقيم الوطن ورسالته وقضاياه وبالحق في الحرب الدفاعية المشروعة[1] .

وكذلك ترمى العمليات الدفاعية في الحرب النفسية أولاً إلى بناء معنويات قادرة على الصمود أمام كل تجربة ، وقادرة على الصمود إزاء أي نوع من الدعاية والتوجيه في حالة الأسر أو الإغراءات التي يقدمها العدو لمن يخون الوطن أو يخون نفسه ويعترف على أسرار وحدته .

3) قوة الإيمان ورسوخ العقيدة :

ويعد عنصر الإيمان والعقيدة هامان ، حيث يعزل المرء عن المؤثرات الخارجية ، ويشكل

(1) Myers, D.G. (1983) social psycnology, Mc Graw – Hill Book, Company, New York, p. 328.

جدارًا صلبًا في وجهها ، وكذلك وقاية الناس عامة من الدعاية الخادعة وحمايتهم من الغزو الثقافي الذي يستهدف ، في العادة ، عقائد وقيم المجتمع ، وخاصة الدعاية المسمومة والتي تحمل للناس معاني الهزيمة وفي نفس الوقت تشير إلى قوة العدو وانتصاراته الكاذبة .

4) الثبات العاطفي أو الانفعالي والراحة الجسمية :

لمقاومة الانهيار يجب تجنب الانفعال ، فالثبات والتعالي والشعور بالجانب العقلي وسائل كفيلة بتفادي الاستسلام لمحاولات غسيل الدماغ ، وكذلك محاولة اختطاف لحظات الراحة بأي شكل أثناء محاولات غسيل الدماغ ، حيث تفقد العامل فيها أهم شروط عمله وهو البلوغ بالشخص إلى مرحلة الإنهاك والإعياء ، فالاتزان الانفعالي من علامات الصحة النفسية الجيدة وهو مما يساعد على الصمود أمام محاولات سلطات الأسر [1] .

5) مقاومة الشائعات المسمومة :

أي محاربة الشائعات التي تستهدف انهيار الأسير لغسيل الدماغ بها ، وأهم أسلوب لمقاومتها هو عدم الاكتراث بها من جهة والامتناع عن نقلها مهما بدت تفاهتها من جهة أخرى وعدم تصديقها إلا إذا قام الدليل على صحة المعلومة التي يتلقاها الجنود ، والتأكيد على أن العدو لا يبث إلا ما هو كذب وتضليل وخداع وتضخيم وأن هذه الأمور مقصودة ومدبرة للنيل من معنويات الجند في ساحة القتال أو في الأسر [2] .

الخاتمة والخلاصة وآفاق البحث المقبلة والتوصيات :

استعرض هذا البحث المتواضع بالعرض النقدي والتحليل السيكولوجي عملية تغيير اتجاهات الناس وعقائدهم وأفكارهم وميولهم وسلوكياتهم باستخدام القسر والقهر وممارسة الضغط الجسمي والنفسي عليهم وعزلهم وحبسهم وتهديدهم بالفضيحة وغير ذلك من الأساليب غير الإنسانية ، من ذلك شرح عملية إعادة التعليم العقائدي أو الأيدولوجي وعملية غسيل الدماغ وأشكالها ومستوياتها ومجالات استخدامها مع الأسرى والجواسيس والمجرمين ومع المدنيين أي مع الأفراد والمجتمعات في زمن الحرب والسلم

(1) Reber, p. 248.

(2) Reber, p. 615.

أيضًا مع عقد المقارنة بين عملية غسيل الدماغ وعمليات أخرى غير مشابهة مثل التحليل النفسي أو التنويم المغناطيسي وبيان الخطوات الفنية المتضمنة في عملية غسيل الدماغ ومن بينها العزل والحرمان وممارسة الضغوط والإذلال والتعذيب وتذويب الأفكار القديمة أو انتزاعها و غرس غيرها عنوة وكذلك استعراض أساليب غسيل الدماغ التي تم استخدامها في الحرب الأمريكية / الكورية سنة 1953 ، وطرق التصدى عملية غسيل الدماغ و العمل على تحصين عقول الناس بمزيد من الإيمان والاعتقاد ورفع الروح المعنوية وتوفير القيادة الجيدة والقدوة الحسنة ثم بيان الآثار النفسية أو الأعراض التي قد تنجم من التعرض لتجربة غسيل الدماغ ومدى اعتماد ذلك على تمتع الفرد بالصحة النفسية الجيدة والثبات الانفعالي قبل الوقوع في الأسر .

وفيما يتعلق بالتوصيات فإن هذه الدراسة توصى بضرورة تجنب استخدام هذا الأسلوب القهري والقسري في تعديل اتجاهات الناس أو عقائدهم وآرائهم وسلوكهم وميولهم واهتماماتهم لأنها أساليب غير إنسانية وغير مشروعة وقد تترك آثار ا ضارة بالصحة النفسية لمن يتعرضون لها لأنها تنطوي على أنماط من التعذيب الجسدي النفسي والإهانة والتحقير والإذلال والعزل ، وفي نفس الوقت توصى الدراسة بالعمل على تعديل اتجاهات أبناء المجتمع وتكوينها لتكون أكثر إيجابية ولتقوية شعورهم واعتزازهم بالوطن وبالأمة العربية والإسلامية وتدعيم شعورهم بالانتماء وغرس قيم الوطنية والإخلاص والولاء للوطن وللمجتمع وتنمية مشاعر الفخر بالأمة وتاريخها المجيد وتقوية روح التضحية والبذل والعطاء في نفوس الشباب وتدريبه على مواجهة سموم الأعداء والدعايات المغرضة والمسمومة والتي تدفع للشك والريبة والحقد على المجتمع ونظمه .

ويتعين أن يكون ذلك عن طريق أساليب التربية والتعليم والتوعية والإرشاد والوعظ والتثقيف بالأساليب المشروعة وحدها وذلك بقصد تنمية روح المناعة والتحصين ضد سموم الغرب وتنمية القدرة على التفكير النقدي والعلمي والوعي حتى لا يقع الشباب فريسة لدعايات الغرب وأكاذيبه ، ويتطلب ذلك الاهتمام بالمواطن العربي ومنحه كافة حقوقه الإنسانية وإشباع حاجاته وحمايته من مشاعر الاغتراب ورفض المجتمع ، وتسهم المناهج والمقررات الدراسية في تقوية روح الوطنية هذه وكذلك تدريب الجنود وإحكام فهمهم للأسلحة الحديثة

لإكسابهم الشعور بالثقة في أنفسهم وفي قادتهم وفي وطنهم ، وفي نفس الوقت تولى من يتعرض للحبس في الدولة العربية توليه بالعلاج النفسي بعد خروجه من الاعتقال الظالم .

ويمكن إجراء العديد من الدراسات الميدانية حول الشائعات وطرق انتشارها وطرق التصدي لها ومعرفة نوعيتها ومصادرها وكذلك إجراء دراسة ميدانية حول السياسة العالمية الحالية ما هو صدق منها وما هو مزيف ومغرض ومصطنع .

قائمة المراجع :

1) الحفني ، عبد المنعم ، (1994) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
2) بدوى ، أحمد زكى ، (1976) ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت .
3) دسوقي ، كمال ، (1988) ، ذخيرة علوم النفس ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة .
4) رزوق ، أسعد ، (1977) ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .
5) طه ، فرج عبد القادر ، وآخرون ، (1993) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، دار سعاد الصباح ، الكويت .
6) مصطفى الدباغ ، العقيد ، (1998) ، المرجع في الحرب النفسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .

7) Baron, R.A . (2004) Psychology, prentice – Hall of India , New Delhi.
8) English, H.B., and English A.C, (1958), A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Longmans, London .
9) Gilme, B.H., (1967), Applied Psychology, Tata Mc Graw – Hill, publishing company limited, New Delhi .
10) Hilagard, E.R . (1963) introduction to psychology, Rupert Hart, Davis, London .

obeikandl.com

11) Myers, D.G., (1983), Social psychology, Mc Graw – Hill Book, Company, New York .

12) Oltmanns, T.F., and Emery, R.E., (1998), Abnormal psychology, prentice – Hall, New Jersey .

13) Reber, A.S., (1995), Penguin dictionary of Psychology, Penguin Book, London .

obeikandl.com